

الدولة العراقية بين التوجه القومي و موالاتة بريطانيا ١٩٥٨-١٩٢١

د. فواز حماد محمود العيثاوي

المقدمة :

لقد أسهم العراقيون الذين وضعوا الأسس الأولى للدولة العراقية للدولة ، بشكل فاعل في الجمعيات العربية التي تشكلت في أواخر العهد العثماني ، والتي طالبت بحصول العرب على حقوقهم المشروعة ، كما أسهموا أيضا وبالفاعلية نفسها وربما اكثر في الثورة العربية الكبرى التي أوقد شرارتها الشريف حسين بن علي في ١٠ حزيران ١٩١٦ . وكان في مقدمة العاملين في الحركة العربية ياسين الهاشمي ونوري السعيد وجعفر العسكري وجميل المدفعي وعلي جودة الأيوبي وغيرهم . ويكفي ان نشير إلى ان معظم أعضاء جمعية العهد ، وهي الجمعية الوحيدة التي كانت عسكرية الطابع ، كانوا من العراقيين الذين شكلوا العناصر القيادية العسكرية للثورة العربية مثل جعفر العسكري ونوري السعيد وجميل المدفعي . (١)

وإذا ما تحدثنا عن الملك فيصل الأول ، الذي يعد ابرز مؤسسي الدولة العراقية الحديثة . فأن دوره في التخطيط للثورة العربية وقيادة قواتها كان كبيرا ، فهو قائد الجيش الشمالي الذي حرر الحجاز واسهم في

تحرير بلاد الشام ودخل دمشق في مطلع تشرين الأول ١٩١٨ . وكان أكثر أبناء الشريف حسين حماسة لإعلان الثورة . وان الإعدامات التي قام بها جمال باشا (السفاح) في عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ كانت العامل الأساس الذي حفزه على السعي للتعجيل بإعلان الثورة ^(٢) .

كان الهدف الأساس للثورة إقامة دولة عربية مستقلة في المشرق العربي بزعامة الشريف حسين ، رسمت حدودها بموجب مراسلات الشريف حسين مع السير هنري مكماهون McMahon ، المعتمد البريطاني بعد ان أسرف الاتحاديون في سياستهم العنصرية الداعية إلى تترك القوميات غير التركية في الدولة العثمانية . وقد صرح الأمير فيصل بن الحسين في مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي عام ١٩١٩ ، ان ((هدف الحركات القومية العربية ... هو توحيد للعرب كي يصبحوا في النهاية امة واحدة ^(٣))) .

وإذا كان المؤسسون الأوائل لدولة العراق الحديثة والذين أصبحوا بعد ذلك ابرز صناع القرار السياسي فيها حتى عام ١٩٥٨ ، قد تشربوا بالمبادئ القومية وقاتلوا في مواقع قيادية في جيش الثورة العربية ، فإلى أي مدى كان انعكاس ذلك الشعور القومي على سياسة الدولة العراقية ابان العهد الملكي (١٩٢١ - ١٩٨٥) . هذا ما سنتتبعه من خلال هذا البحث .

مرحلة الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٣٢ :

قبيل تتوجه ملكا على العراق القى الأمير فيصل عددا من الخطب والكلمات في مناسبات عدة أكد في احدها ان الهدف من إعلان الثورة العربية لم يكن للحصول على عرش هنا أو هناك . ومما جاء في الكلمة (لم أقم إنا ولم يقم والدي ولا احد من أفراد أسرتي بعمل من أعمال النهضة ولهم مطمع في شيء) . واقسم بشرفه وتربة أجداده ، بأنه لم يفكر بالمجيء إلى العراق إلى العراق لو لا إلحاح أصدقائه وأبناء الشعب العراقي^(٤) . وهذا يعني انه أراد التأكيد ان الدافع القومي، وحده كان وراء إعلان الثورة العربية . وفي خطبة التتويج (٢٣ آب ١٩٢١) شد انتباه العراقيين مرة أخرى للثورة العربية وقائدها الشريف حسين الذي ((رفع لواء العرب منضما إلى الحلفاء ونهض بالعرب لا غاية له سوى تحريرهم وتأييد استقلالهم القومي الذي كانوا ينشدونه منذ قرون))^(٥) .

وهكذا كان النفس القومي واضحا في خطب واحاديث فيصل . لكنه سرعان ما وجد نفسه وبقية الساسة الذين عملوا معه في الثورة العربية ، غرقا في بحر واسع من المشاكل الداخلية التي رافقتها تهديدات خارجية من تركيا التي طالبت بالموصل وإيران التي أثارت بين الحين والآخر مشاكل حدودية لا تزال حتى الحاضر ، فضلا عن هجمات الإخوان من الحدود الجنوبية بتحريض من إمارة نجد . وان السيطرة البريطانية المتمثلة بالانتداب جعلت الساسة العراقيين في صراع مستمر مع سلطات الانتداب البريطاني للحصول على الاستقلال الحقيقي الذي ثاروا من اجله ضد الأتراك من أبناء دينهم ، فقد كبل البريطانيون العراق بمعاهدة كانت

من الناحية الفعلية صورة طبق الأصل من صك الانتداب ، على حد تعبير المؤرخ العراقي البارز السيد عبد الرزاق الحسني^(٦) .

وكان الصراع مع سلطات الانتداب مريرا وقاسيا حتى ان رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون فضل الانتحار على ان يتهم بالخيانة والعبودية للبريطانيين ، كما جاء في وصيته^(٧) .

ان الصراع مع بريطانيا جعل كثيرا من الحكومات العراقية تتبعد نسبيا عن الاهتمام بالقضايا القومية ، وربما كان ذلك أيضا أملا في عدم إشارة بريطانيا التي كانت ترى في أي توجه قومي تهديدا لمصالحها ومن اللافت للنظر ، ان الطلبة الذين تظاهروا احتجاجا على زيارة الصهيوني الفريد موند A.Mond في شباط ١٩٢٨ ابان وزارة عبد المحسن السعدون الثانية تعرضوا لشتى العقوبات. فقد طرد ١٨ طالبا طردا مؤبدا ، و حكمت محكمة الجزاء على عدد آخر من المتظاهرين بعقوبات مختلفة . و اضطر البعض الآخر إلى السفر إلى خارج العراق لإكمال دراسته و منهم الشخصية الوطنية حسين جميل^(٨). ولم يتردد وزير المعارف توفيق السويدي بتهديد الطلبة بإطلاق الرصاص عليهم إذا ما تظاهروا مرة أخرى^(٩). و المعروف ان السويدي كان احد أعضاء المؤتمر العربي الأول الذي عقد في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٩١٣ و طالب بمنح العرب حقوقهم المشروعة^(١٠) ، لكنه الآن يهدد بقتل من يعارض زيارة احد الداعين لإقامة دولة اليهود في فلسطين على حساب حقوق العرب المشروعة .

وليس هناك ما يشير إلى ان احد من الذين عملوا في صفوف الحركة العربية اعترض على الإجراءات التي اتخذتها وزارة السعدون، بل ان ذلك حدث بموافقة الملك فيصل الأول ^(١١) ، الرجل الذي في الثورة العربية الكبرى ، أول ثورة تقوم باسم العرب في العصر الحديث . و لم يكن من الغريب ان تتخذ الحكومة إجراءات مماثلة ضد المتظاهرين الذين خرجوا تأييدا لثورة البراق الفلسطينية عام ١٩٢٩ . كما أغلقت الحكومة صحيفتي النهضة و الوطن لأنهما هاجمتا التدابير التي اتخذتها الحكومة ضد المتظاهرين ^(١٢) .

و على ما يبدو فان الملك فيصل و عدد غير قليل من أقطاب السياسة العراقية آنذاك لم يكونوا مدركين للخطر الصهيوني . و المعروف ان فيصل التقى بالزعيم الصهيوني حاييم وايزمان chim waizman عام ١٩١٩ و كتب إلى والده ان وايزمان أكد له ان اليهود لا يفكرون في تأسيس أي نوع من أنواع الحكم في فلسطين . و ان التعاون بين العرب و اليهود مسألة ضرورية لان اليهود سيعملون على أعمار فلسطين ^(١٣) . من جانب آخر فان الملك كان يسعى إلى عدم إثارة بريطانيا و ربما مجاملتها في موقفه غير الحازم من القضية الفلسطينية ، حتى انه تجاهل الرسائل التي كتبتها قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية إليه عام ١٩٣٠ بشأن القضية الفلسطينية ، و تطوراتها ^(١٤) هذا في الوقت الذي كان فيه الشعور القومي متقدما بين أبناء الشعب العراقي كما هو واضح من تظاهرات التأييد للقضية الفلسطينية . كما ان الشبيبة العراقية سبق ان

أقامت عام ١٩٢٢ مهرجانا للاحتفال بالثورة العربية ، دعت فيه إلى اعتبار تاريخ إعلان الثورة العربية (١٠ حزيران) عيداً رسمياً . وقام الملك باستعراض القطاعات العسكرية و إرسال برقية إلى والده بهذا الشأن ^(١٥) . على وفق الحقيقة الأخيرة فإنه لم يكن بإمكان الحكومة العراقية و كذلك الملك ، تجاهل الشعور القومي لدى أبناء الشعب العراقي بشكل مطلق ، و لاسيما ان أقطاب النظام من رجال الحكومة العربية ، ولكنهم كتبوا شعورهم القومي أو تراجعوا عن مبادئهم القومية و ربما تخلوا عنها ، بعد ان أغرقتهم بريطانيا في المشاكل الداخلية ، أو إرضاء لها . فقد تعاطف العراق مع الأماني الوطنية السورية . ولعل مرد ذلك - بالنسبة للعائلة المالكة - يعود إلى طموح العائلة الهاشمية إلى استرجاع العرش الذي فقده الملك فيصل عام ١٩٢٠ اثر معركة ميسلون . وقد ازداد هذا الطموح حدة بعد ان فقدت العائلة عرشها الأول في الحجاز عام ١٩٢٩ بعد ان اجبر ال سعود الملك علي بن الحسين شقيق الملك فيصل الأول على مغادرة الحجاز ^(١٦) فاستقر في العراق أملاً في عرش بديل و كانت سورية الأمل الأكثر تحقيقاً لهذا الحلم الذي ورثه بعد ذلك عن أبيه الأمير عبد الإله بن علي كما سيأتي ذكره .

كان الفرنسيون قد أدركوا هذه الحقيقة منذ وقت مبكر حتى أنهم كانوا في مقدمة المعارضين لتتصيب فيصل ملكاً على العراق و فكروا في اغتياله كما تشير إحدى الوثائق البريطانية ^(١٧) . فالتطلع إلى استقلال سورية لم يملء الشعور القومي المحض ، بل كان ذلك ممتزجاً

مع السعي الهاشمي لبسط نفوذه على المشرق العربي و تزعم الدولة التي وعدت بريطانيا باستقلالها بموجب مراسلات حسين - مكماهون كما أسلفنا . لهذا حظيت الثورة السورية عام ١٩٢٥ بدعم الحكومة العراقية و لكن بشكل سري. كما أصبح العراق ملجأً للثوار السوريين^(١٨) .

و تأكيداً لحقيقة التوجس في التعبير عن الشعور القومي أو النهج القومي للحكومة العراقية ، فان مناهجها الوزارية كادت ان تخلو من الإشارة إلى ذلك ، أو تأتي الإشارة على استحياء على ما يبدو ، و الإشارة الوحيدة التي تستحق الذكر في هذا الجانب ما جاء في منهاج وزارة جعفر العسكري (قائد القوات النظامية لجيش الثورة العربية الشمالي) عام ١٩٢٣ إذ نص الفقرة (٩) ((تأسيس الصلات القومية بين العراق وسائر البلاد العربية)) . ولكن هذا التوجه القومي سرعان ما تلاشى حين شكل العسكري وزارته الثانية عام ١٩٢٦ ، إذ جاء في الفقرة (٢) من منهاج ((و تأسيس الصلات مع الدول سيما المجاورة منها على أساس المودة و الاحترام المتبادلين))^(٢٠) . فاختلفت سورية وإيران وإمارة شرق الأردن بتركيا ونجد ... الخ . كما ان الملاحظ ان الإشارة إلى تقوية الصلات مع الأقطار المجاورة جاء بعد الإشارة إلى ((تأييد الولاء والصدقة بين الشعبين)) العراقي والبريطاني ، إذ وردت في الفقرة (٦) ، في حين ان الإشارة إلى الصلات مع الدول المجاورة وردت في الفقرة (٩) كما أسلفنا . واللافت للنظر إننا لم نجد أي إشارة للقضية الفلسطينية في أي منهاج من مناهج وزارات عهد الانتداب البريطاني ، على الرغم

من وجود مؤشرات عديدة على استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتفاقم الخطر الصهيوني .

لم تشهد مرحلة الانتداب ظهور توجه قومي جدي وإقامة صلات مع الأقطار العربية ، تكون خطوة لبناء الدولة الموحدة التي عقدت العائلة الهاشمية الآمال على بنائها بزعامة الشريف حسين بن علي ، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان الشريف حسين كان قد اجبر على ترك الحجاز والاستقرار في منفاه بجزيرة قبرص ، بعد ان خذله البريطانيون ومكنوا آل سعود من تقويض المملكة التي انطلقت منها شرارة الثورة العربية التي مكنت بريطانيا والحلفاء بشكل عام من تحقيق انتصارات سريعة في بلاد الشام^(٢١) .

لقد أزيلت مملكة الحجاز من الخارطة السياسية للمنطقة ، والشريف حسين مات كمدا في منفاه بعد ان رفض البريطانيون يدهم عنه ، وتجاهلوا الكثير من مطالبه . ويروي نجله الأصغر الأمير زيد ، إن والده اضطر ذات يوم أن يستل خنجره ويضعه أمام حاكم الجزيرة البريطاني ، قائلا ((حاربت بهذا معكم ، وما كنت اعتقد بأنني سأقابل بهذا النكران . كان من الحكام الجلف إلا ان دفع الخنجر بقلم كان بيده قائلاً ، لم يعد هذا بذى نفع لنا بعد اليوم . فما كان من والدي إلا أن أشار إلي بإنهاضه حيث لم يعد باستطاعته حمل نفسه ، فخرجنا فلأزم فراشه ولم يتركه إلا إلى قبره بعد أيام))^(٢٢) .

الواضح ان أصحاب القرار السياسي في العراق استوعبوا درس الشريف حسين بشكل عميق . وان الملك فيصل كان الأكثر استيعابا للدرس ، وبخاصة انه كان قد عانى من خذلان البريطانيين مثل أبيه ، يوم تركه البريطانيون يواجه مصيره المحتوم حين زحفت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال غورو GOURAUD لتسقط الحكومة العربية في دمشق عام ١٩٢٠ وتقضي على مملكة فيصل بعد أربعة أشهر من قيامها . وقد يكون هذا الدرس احد أهم الأسباب التي دفعت بريطانيا لدعم ترشيح فيصل ملكا على العراق ، كي يضع في حسابه أي خروج عن الخط الذي ترسمه بريطانيا ،يعني ان سيواجه المصير نفسه الذي واجهه في سوريه .و كان البريطانيون يلمحون له بذلك حسبما يذكر عبد الرزاق الحسني ^(٢٣) . وقد يكون الدرس القاسي الذي تلقاه فيصل في معركة ميسلون هو الذي جعله يخاطب العراقيين قبل تتويجه بأقل من شهر بقوله ((لكن لي رجاء واحد على الأمة ان لا تستعجل ولا تطيش . وان حاسيتها القومية و دمها العربي النشيط لا يفوران فورة مستعجلة))^(٢٤) بمعنى آخر لابد من كبح جماح الشعور القومي بقدر ما تسمح به بريطانيا .و وجد فيصل في بعض المناسبات فرصة للتعبير عن هذا الشعور . فقال بعد عقد المعاهدة العراقية – البريطانية عام ١٩٣٠ ((ان هذه المعاهدة آخر خطوة لتحرير العراق و أول خطوة لتحرير الأقطار العربية))^(٢٥) و ربما قبل البريطانيون بهذا التصريح القومي لا أنهم يدركون جيدا كما يدرك فيصل ان معاهدة ١٩٣٠ لم تحرر العراق ، بل

نصت على إقامة قاعدتين عسكريتين بريطانيتين في العراق و كبلت العراق بقيود قاسية جدا ^(٢٦) و في مناسبة أخرى عبر فيصل عن مشاعره القومية حين تحدث عن فكرة الوحدة بين العراق وسورية بقوله ((ان من الخير ان تتحقق هذه الوحدة كي يفهم الغرب روح الحضارة العربية كما فهم العالم عقلية الألمان بعد وحدتهم)) ^(٢٧) و سبق هذا التصريح خطوة عملية في هذا الاتجاه في محاولة التقرب من بعض الأقطار العربية مثل نجد و الحجاز التي يحكم فيها خصومه ال سعود و كذلك اليمن و إمارة شرق الأردن التي يحكمها شقيقة الأمير عبد الله بن الحسن . و في ذلك كتب السيد عبد الرزاق الحسني ((اتجهت أفكار بعض السياسيين في البلاد العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ... إلى خلق وحدة عربية تجمع شتات العرب و توحد كلمتهم ... ولما تكونت الوزارة السعودية الأولى أعرب الملك فيصل عن رغبته في ان يجعل في وضع الحجر الأساسي لما يفكر به السياسيون)) . فتألف وفد برئاسة نوري السعيد غادر بغداد في ٢٥ آذار ١٩٣١ زار الأردن و اليمن و المملكة الحجازية - النجدية ، وقد تمخضت الزيارة عن عقد ثلاث معاهدات مع الأقطار الثلاثة، عدت خطوات ايجابية - قياسا بظرفها - باتجاه التفاهم العربي . و ان الجانب الأكثر ايجابية في هذه الخطوة ، ان الملك فيصل وضع الخلافات العائلية مع ال سعود جانبا ، و التعامل مع الأمر الواقع بواقعية اما مضامين تلك المعاهدات ، فإنها نصت على التعاون و أقامت الصلات ((على الأساس التعاون الوثيق و الود الصميم)) مع الأردن)

المادة الثانية). اما مع المملكة الحجازية -النجدية ، جاء في المادة الأولى ((يسود بين المملكة العراقية و بين المملكة الحجازية - النجدية و ملحقاتها ، سلم دائم و صداقة وطيدة لا يمكن الإخلال بها و يتعهد الفريقان الساميان بان يبذلا جهدهما للمحافظة عليهما ، وان يحلا بروح السلم و الصداقة جميع النزاعات و الاختلافات التي تنشأ بينهم)) . اما المعاهدة مع اليمن فلم تتضمن سوى ثلاث مواد مقتضبة لم تتجاوز الستة اسطر أهم ما فيها المادة الثانية التي نصت على ((يسود سلم دائم و صداقة وطيدة بين المملكتين المتعاقبتين)) (٢٨) .

ان الذي يقرأ نصوص هذه المعاهدات بإمعان لا يمكنه القول ان ثمة توجه قومي حقيقي . فمثل هذه المعاهدات التي تضمنت مواد عن الصداقة و حسن الجوار و التعاون في شؤون الكمارك و انتقال أبناء العشائر في المناطق الحدودية ، كثيرا ما تعقد حبين دول لا ترتبط مع بعضها بصلات قومية أو دينية . و يبقى علينا ان لا نحمل أصحاب القرار ما لا طاقة لهم به ، فان الأوضاع الداخلية و العربية و الدولية آنذاك لم تكن تسمح بأي خطوة أكثر اتساعا أو رسوخا باتجاه وحدة عربية أو حتى تقارب عربي حقيقي يكون أساسا لوحدة عربية ، اخذين بنظر الاعتبار ان بريطانيا كانت مستمرة في جهودها الرامية لإقامة (وطن قومي لليهود) في فلسطين . و المعروف ان التأثير البريطاني كان الأكثر قوة في العراق و المشرق العربي و العالم . و الأهم من هذا ان هناك من نظر بعين الريبة و الشك إلى هذه الخطوة . فقد هاجمتها

جريدة الاستقلال ، و أكدت ان بريطانيا تريد حلفا عراقيا مع الأردن و سورية لمد أنابيب النفط . وان وليم مارتن صاحب جريدة Journal De Geneve اقترح ذلك . و لم تستبعد (الاستقلال) ان تكون فكرة تنصيب الأمير علي بن الحسين على عرش سورية فقد جاءت لهذا الغرض، لان بريطانيا نادمة على ضياع سورية من يدها^(٢٩) .

و أكدت الجريدة ان العراق دولة غير مستقلة و ليس من حقه المناداة بالحلف ، و ان ذلك من حق السعودية و اليمن بوصفها دورتان مستقلتان^(٣٠) . و من المهم ان نذكر ان مصالح بريطانيا قد تضطرها إلى قبول بعض أشكال التقارب العربي أو الوحدة العربية . فالمملكة العربية السعودية كانت حتى الربع الأول من القرن العشرين ثلاث كيانات سياسية (الحجاز و نجد و حائل) جعلها ال سعود كيانا واحدا بقوة السلاح . ولم تضع بريطانيا أي عراقيل بوجه ال سعود ، بل أنها دعمت ال سعود في خطوتهم تلك لأنها وجدت فيهم خير من يخدم و يدافع عن مصالحها في المنطقة ، و يساعدها على تحقيق احد أهم أهدافها في المنطقة و هو إقامة (وطن قومي) لليهود في فلسطين . و نشير هنا إلى ما قاله السياسي البريطاني المعروف ونستن تشرشل Winston Chrchill الزعيم الصهيوني وايزمان)) بودي ان أرى ابن سعود وقد أصبح سيد الشرق الأوسط - رئيس الرؤساء - على شرط ان يجري

تسوية معكم I would like to see Uibn Saud lord of the middle east , the boss of the bosses – provide he settles

with you^(٣٢) . و هذا ما اكدته أيضا إحدى وثائق وزارة الحرب
البريطانية .^(٣٣)

مرحلة الاستغلاق ١٩٣٢-١٩٥٨ :

في ٣ تشرين الأول ١٩٣٢ ، أنتها عهد الانتداب البريطاني الذي
بدأ عام ١٩٢٠ و أصبح العراق عضوا في عصبة الأمم . و حقيقة
الأمر ان الاستقلال كان شكليا فقد بقيت بريطانيا تهيمن على مقدرات
البلاد سياسيا و اقتصاديا و عسكريا و استمر في التحكم في شؤونه
ابرز السياسيين الذين أسهموا في الثورة العربية أو الحركة العربية في
العهد العثماني ، مثل نوري السعيد و ياسين الهاشمي و علي جودة
الأيوبي و جميل المدفعي و توفيق السويدي و حمدي الباجه جي و
غيرهم . فمن مجموع ٤٥ وزارة تشكلت بعد الاستقلال شكل ثلاث من
هؤلاء ٢٢ وزارة وهم نوري السعيد (رئيس أركان القوات النظامية لجيش
الثورة العربية الشمالي) ، إذ شكل ١٢ وزارة . و جميل المدفعي (أمر
المدفعية في الجيش الشمالي) شكل ٧ وزارات ، و علي الأيوبي ، احد
ضباط الثورة شكل ٣ وزارات . اما الملك فيصل الأول فقد توفي قبل ان
يمضي عام على (الاستقلال) ، في أيلول ١٩٣٣ ، و دعا آخر خطاب
للعرش إلى تقوية الروابط الأخوية التي تربط العراق بالبلاد الأخرى^(٣٤)
وكان نجله الملك غازي أكثر اندفاعا في التوجه القومي و معاداة
البريطانيين . لكن السنوات الأولى من عهده شهدت اضطرابات داخلية

تمثلت بالحركات العشائرية في الفرات الأوسط التي أثارها الساسة لإسقاط بعضهم البعض في عملية الصراع على السلطة^(٣٥) ، مستغلين ضعف الملك الجديد و قلة تجربته ، في الوقت الذي كان يقودهم الملك فيصل الأول ((كما يقاد قطيع من الغنم)) على حد تعبير السيد عبد الرزاق الحسني^(٣٦) . وقد لحق جراء تلك الحركات خراب و دمار في القرى و البيوت و ممتلكات الدولة ، رافق ذلك اضطراب الحالة السياسية حتى ان وزارة جميل المدفعي الثالثة لم تستمر سوى احد عشر يوما (٤-١٥ آذار ١٩٣٥) و كان امرا طبيعيا ان تبقى أنظار السياسيين تتجه نحو الداخل المضطرب .

في عام ١٩٣٦ ، انتفض الشعب العربي الفلسطيني ضد سياسة الانتداب البريطاني و فتح باب الهجرة للصهاينة على مصراعيه .فوجد رئيس الوزراء ياسين الهاشمي في الانتفاضة فرصة للتعبير عن مشاعره القومية ، فأرسل الكثير من الأسلحة للثوار ، و تولى المقدم الركن (العقيد الركن فيما بعد) فهمي سعيد مهمة تدريب الثوار على السلاح و التحقق الكثير من العراقيين بالثورة بصفة متطوعين ، الأمر الذي أدى إلى غضب السفير البريطاني كلارك كير Clark Keer و دفعه إلى مقابلة ياسين الهاشمي و الاحتجاج لدى الحكومة العراقية^(٣٧)

لقد اكسب هذا الموقف ياسين الهاشمي شعبية واسعة حتى انه لقب بـ (بسمارك العرب) و يبدو ان الهاشمي في هذا الجانب أعطى أكثر من حجمه. ذلك ان العرب لا يزالون بانتظار بسماركهم الذي لم يأتي بعد ،

ولكن موقف الهاشمي يبقى موقفا قوميا أصيلا ، حتى ان الشعب الفلسطيني عبر عن حزن عميق يوم إطاحة بوزاراته انقلاب الفريق بكر الصديقي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ (٣٨)

من جانب آخر خطت وزارة الهاشمي خطوة أخرى في اتجاه القومية حين عقدت (معاهدة أخوة عربية و تحالف) مع المملكة العربية السعودية في نيسان ١٩٣٦ ، كانت وزارة علي جودة الأيوبي قد مهدت لها عام ١٩٣٤ ، ولعل من ابرز موادها ، المادتين الثالثة و الرابعة .فقد جاء في المادة الثالثة ((إذا أدى أي نزاع بين احد الفريقين المتعاقدين الساميان و دولة ثالثة يترتب عليها خطر يؤول إلى الحرب، يوحد الفرقان الساميان المتعاقدان حينئذ مساعيها لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقا للتعهدات الدولية التي يمكن تطبيقها على تلك الحالة)) . و نصت المادة الرابعة (أ) ((في حال وقوع اعتداء على احد الفريقين المتعاقدين الساميين من جانب دولة ثالثة ، بالرغم من المساعي المبذولة وفق أحكام المادة الثالثة أعلاه و كذلك في حال وقوع اعتداء مفاجئ لا يتسع معه الوقت لتطبيق المادة الثالثة المذكورة على الفريقين المتعاقدين الساميين ان يتشاوروا في ماهية التدابير التي يراد القيام بها ، بقصد توحيد مساعيها بالطرق المفيدة لرد الاعتداء المذكور))

و الملاحظ ان المادة تجنبت الإشارة إلى مساعدة الطرف الآخر عسكريا في حالة وقوع الاعتداء . كما ان المادة التاسعة أكدت ((انه ليس في هذه المعاهدة ما يخل بحقوق و تعهدات الحكومة العراقية

المنصوص عليها في ميثاق عصبة الأمم ، و معاهدة التحالف المنعقدة بين العراق و بريطانيا العظمى في ٣٠ حزيران ١٩٣٠^(٣٩) و الواضح ان صاحب القرار السياسي العراقي ، كان يتوجس خيفة من بريطانيا في أي خطوة يخطوها في الاتجاه القومي . وقد سبق لياسين الهاشمي ان انتقد نوري السعيد على خطوته للتقارب مع بعض الأقطار العربية و اتهمه بالعمل على حراسة خطوط المواصلات البريطانية ، كما اشرفنا سلفا . لكن الهاشمي لم يتمكن من تجاهل بريطانيا في المعاهدة التي عقدها مع المملكة العربية السعودية . و مهما يكن من أمر فان اليمن انضمت إلى هذه المعاهدة بموجب المادة السادسة منها ، وذلك في وزارة حكمت سليمان التي أعقبت وزارة الهاشمي^(٤٠) .

وقد التفت ياسين الهاشمي إلى جانب مهم من التوجه القومي هو الجانب الفكري و الثقافي فقد سعى لوضع مناهج دراسية موحدة للأقطار العربية ، و ارسل مدير المعارف العام ، سامي شوكت إلى بعض الأقطار العربية لعقد اتفاقيات معها و استعارة خدمات بعض الأساتذة العرب للتدريس في الكليات و المعاهد العراقية^(٤١) و ارسل الشخصية التربوية المعروفة ، ساطع الحصري ، مدير التربية و التعليم ، في مهمة مماثلة إلى مصر ، على حد تعبير ياسين الهاشمي ، في البرقية التي أرسلها إلى رئيس وزراء مصر محمد توفيق نسيم باشا .^(٤٢) و ان ما كتبه جريدة البلاد في عهد الهاشمي عن حق كل عربي بالحصول على الجنسية العراقية^(٤٣) ، قول له مغزاه القومي الواضح . ان هذه المواقف

كانت وراء دفن ياسين الهاشمي على بعد أمتار من قبر صلاح الدين الأيوبي في دمشق ، و ان يكتب على قبره (هنا يرقد زعيم العروبة ياسين الهاشمي و زعيم العراقيين) .

وقد مهدت وزارة ياسين الهاشمي لعقد اتفاقية (حسن الجوار بين العراق و سورية) تم توقيعها في عهد وزارة حكمت سليمان في ٢٤ نيسان ١٩٣٧ . وقد ركزت الاتفاقية على حل المشاكل الحدودية و تنقل العشائر بين البلدين و الإعفاء الضريبي^(٤٤) . ولا نجد بين ثانيا الاتفاقية ما يوحي بتوجه قومي . في الوقت نفسه فان حكمت سليمان ، احتج بشدة على مقترح اللجنة التي انتدبتها بريطانيا لدراسة القضية الفلسطينية ، الداعي إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية و يهودية . وقد استدعى وزير الخارجية البريطاني ، وزير العراق المفوض في لندن ، وطلب منه إبلاغ رئيس الوزراء بان انتقاده الشديد كان له صدى في الصحف العالمية و احدث ضجة غير قليلة . و مما قاله الوزير البريطاني للوزير العراقي المفوض انه يقدر وضع الحكومة العراقية ((ولكن يرى تطرق العراق وحده ، وهو حليف بريطانيا العظمى ، يخرج مركزهم ويسبب الاضطراب في فلسطين ...)^(٤٥) ان هذا يعني ان بريطانيا تعترض حتى على التعبير عن شعور قومي أو تصريح يرى فيه المسؤول العراقي تعبيراً عن موقف رسمي تجاه قضية قومية . وقد بذلت الحكومات العراقية المتعاقبة جهوداً و مساعٍ لدى بريطانيا لحل القضية الفلسطينية حلاً أرادت ان يكون عادلاً ، لكنها عجزت عن التوفيق بين الضغط الشعبي و

موقف بريطانيا الداعي لإقامة دولة يهودية . و في هذا الجانب يذكر مزاحم الباجه حي ((كنا متعاطفين مع الشعب لكننا ننظر إلى الواقع من زاوية أخرى . فالاستعمار قوي (وإسرائيل) موجودة قبل قيامها رسميا عام ١٩٤٨ . و ضميرنا يؤنبنا عندما نضطر إلى قمع التظاهرات الشعبية))^(٤٦) . وهذا تبرير يقبله المنطق و يرفضه الشعور القومي .

ومهما يكن من أمر القضية الفلسطينية فان خطوة أخرى في عهد وزارة نور السعيد الرابعة (١٩٣٩ - ١٩٤٠) حين اشتد الخلاف بين سورية و فرنسا بشأن معاهدة ١٩٣٦ ، ورفع السوريون شعار الوحدة مع العراق . وخرجت تظاهرات في بغداد في ٣١ آذار ١٩٣٩ ، تأييدا لسورية . وقد اوفد نوري السعيد داخلته ، ناجي شوكت في ٢١ نيسان ١٩٣٩ ، لمعرفة رد الفعل التركي لتطورات الموقف . و يذكر ناجي شوكت في مذكراته ، انه سأل الرئيس التركي عصمت اينونو عن موقف بلاده في حالة اتخاذ السوريين قرارا بتوحيد بلادهم مع العراق ، فرد الرئيس التركي قائلا ((كونوا مطمأنين من ان تركيا لا تقف موقفا سلبيا من ذلك (يقصد اتحاد سورية و العراق) ولكنه قال: يجب على العراق ان يلاحظ في مثل هذا الموقف حليفته انكلترا ، التي ترتبط مع فرنسا بأقوى رابطة في العالم))^(٤٧) . و يعزو السيد عبد الرزاق الحسني عدم المضي في هذه الخطوة ، إلى الخلاف بين السعيد و ناجي شوكت ، واندلاع لهيب الحرب العالمية الثانية بع أشهر قليلة^(٤٨) . ويبدو ان السيد

الحسني تجاهل السبب الأساس في الموضوع، و نعتي الموقف البريطاني و الفرنسي منه .

لقد تعرض التوجه القومي إلى محنة قاسية عام ١٩٤١ ، بعد ان وصل إلى قمة السلطة اثر تشكيل رشيد عالي الكيلاني وزارته الرابعة في نيسان ١٩٤١ ، اثر هروب الوصي عبد الإله و نوري السعيد و بعض العناصر الموالية لبريطانيا . و كان الكيلاني قد وصل إلى السلطة بدعم الضباط القوميين (العقلاء الأربعة صلاح الدين الصباغ و فهمي سعيد و محمود سلمان و كامل شبيب) . و قد تمكنت بريطانيا من إسقاط الوزارة بالقوة بعد ان شنت قواتها هجوم على القوات العراقية في ٢ مايس ١٩٤١ ، و أعادت عبد الإله و العناصر الموالية لها . و الالفت للنظر ان ثلاث من الذين هربوا مع الوصي و هم نوري السعيد و جميل المدفعي و علي جودة الأيوبي ، و عادوا محمولين على الحراب البريطانية ، كانوا من العناصر البارزة في الثورة العربية الكبرى كما اشرنا سابقا . و قد برر الأيوبي موقفه بقوله ((كنت و ما أزال احمل في قلبي نقمة شديدة على السياسة الظالمة التي انتهجها الساسة الانكليز ، أولئك الذين خانوا العهود و سلبوا أقدس بقعة في البلاد العربية و شتتوا أهلها البؤساء أصحاب الحق الشرعي و قدموها لشذاذ الآفاق ، وذلك لتأمين سيطرتهم على البلاد الأخرى . لكن كنت أفكر في الوقت نفسه بأنه لا تجوز المجازفة بكرامة الجيش و بمصلحت البلاد انسياقا وراء العواطف و كنت حريصا على إتباعه سياسة حكيمة و الاحتفاظ بقوة الجيش لنتمكن من

المطالبة بحقوقنا المشروعة عندما تازف الساعة الملائمة . ولهذا رأيت و
المرحوم جميل المدفعي خاصة من ان يظهر عدم موافقتنا على توريط
الجيش في مثل هذه المزالق لما لنا من تجارب و ما لدينا من معلومات
حول إمكانية العراق في ما إذا وقع اصطدام مسلح مع الجيش البريطاني
ولكن ساقط الأقدار مع الأسف المتحمسين إلى ركوب هذا المركب
الصعب))^(٤٩) . قد لا يخلو هذا التقرير من بعض الوجهة ، كتبرير
مزاحم الباجة جي الذي أسلفنا الإشارة إليه . لكن لابد من التأكيد ان
انتفاضة نيسان - مايس ١٩٤١ ، تعد الصفحة الثالثة للثورة العربية عام
١٩١٦ . وكانت ثورة العشرين في العراق صفحتها الثانية ، التي رفضت
الهيمنة البريطانية . و كذلك الأمر بالنسبة للصفحة الثالثة ، التي جاءت
بعد إصرار بريطانيا على موقفها في فرض هيمنتها على العراق و موقفها
السلبى من القضية الفلسطينية وقد أصاب السيد الحسني كبد الحقيقة
حين ذكر ان القضية الفلسطينية كانت احد أسباب وقوع الحرب العراقية
- البريطانية عام ١٩٤١^(٥٠) . ولا بد لنا ان نسال ، هل ان الواقعية و
الحكمة مبررا للانتقال من خندق الثورة القومية في صفحتها الأولى و
الثانية إلى الخندق المضاد في الصفحة الثالثة . فالمعروف ان لجميل
المدفعي و علي جودة الأيوبي دور في مقاومة الاحتلال البريطاني للعراق
و جميل المدفعي هو قائد القوة التي هاجمت القوات البريطانية في تلعفر
في نيسان ١٩٢٠^(٥١) . وكان لايوبي دور مماثل في المرحلة نفسها^(٥٢)

ومهما يكن من أمر فان سقوط وزارة الكيلاني التي أعقبها احتلال بريطاني ثاني ، كان نهاية حقيقية لأي توجه قومي حقيقي ، وبخاصة وان بريطانيا أصبحت صاحبة الفضل على ابرز أقطاب السلطة في أعادتهم إلى الحكم، الأمر زادهم (حكمة وعقلانية وواقعية) في التعامل مع بريطانيا وعجم التفكير بالخروج عن المسار الذي تحدده، ففي العام التالي (١٩٤٢) عرض نوري السعيد (مشروع الهلال الخصيب) بعد مباحثات مع عدد من القوميين السوريين واللبنانيين والأردنيين . ثم عرض الفكرة على رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس في ١٧ كانون الأول ١٩٤٢ . كما ناقش الموضوع مع وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط المقيم في القاهرة رتشرد كي سي R.G.Cassy و بعد عودته إلى بغداد وضع مذكرة و اطلق عليها (استقلال العرب وحدتهم) الرسل نسخة منها إلى كي سي (٥٣) ، عله يحصل على الضوء الأخضر بالموافقة على المشروع الذي يتضمن وحدة العراق وسورية و شرق الأردن و فلسطين ، مع التأكيد على الوحدة بين العراق وسورية كخطوة أولى لوحدة بقية الأقطار ، ومنح اليهود حكما ذاتيا ، ربما أراد منه نوري السعيد بديلا لأقامت دولة لليهود ، التي وجد في إقامتها خسارة للنظام الذي يقوده من أي تأييد داخلي .

وقد وجد البريطانيون فيما عرف بعد بـ (جامعة الدول العربية) بديلا لمشروع السعيد الذي أزعج أكثر أصدقائهم إخلاصا (ال سعود) الذين كانوا ينظرون بقلق و خوف إلى أي تقارب بين عرشي الأسرة

الهاشمية في العراق و الأردن . فصرح وزير الخارجية البريطاني انطوني ايدن Anthony Eden في مجلس العموم في ٤٢ شباط ١٩٤٣ ((ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى أي حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية و الثقافية و السياسية ، ولكن من الواضح ان المبادرة بأي مشروع من هذا القبيل ان تصدر من العرب أنفسهم ، وعلى ما اعلم لم يوضع حتى الآن مشروع كهذا يتمتع بالاستحسان العام ((^(٥٤) . و الواضح ان ايدن لم يستحسن (استقلال العرب و وحدتهم)، بل أراد جمع سبع حكومات في (جامعة) أثبتت الأحداث أنها وجه مشوه للوحدة العربية ، و ليس ادل على ذلك من الأحداث التي شهدتها القضية الفلسطينية و خاصة بعد قرار التقسيم عام ١٩٤٧ وقيام (إسرائيل) عاو ١٩٤٨ ، و عجز دول الجامعة و منها العراق عن اداء واجبها القومي بشكله الصحيح .

على وفق ما تقدم ، بقية أنظار العراق تتطلع إلى وحدة أو اتحاد أو تحالف مع أي قطر مجاور ، و إذا كانت الخطوة باتجاه سورية قد تعثرت منذ البداية ، فان (معاهدة أخوة و تحالف) عقدت مع المملكة الأردنية الهاشمية في ١٤ نيسان ١٩٤٧ أي بعد اقل من عام من إعلان استقلال البلاد اثر انتهاء الانتداب البريطاني^(٥٥) . وقد أكدت المعاهدة الروابط الأخوية و الوحدة القومية بين البلدين . و نصت على التعاون العسكري و توحيد الأساليب العسكرية و مشاور في حالة وقوع خطر و حسم الخلافات بشك ودي . و عكست المادة(٦) إشارات انتفاضة نيسان

- مايس ١٩٤١ ، على العائلة الهاشمية ' إذ نصت على تعاون البلدين ((في حالة حدوث اضطراب أو فتنه)) في احد البلدين ^(٥٦). و المعروف ان إمارة شرق الأردن أسهمت بقوة عسكرية إلى جانب الجيش البريطاني الذي احتل العراق عام ١٩٤١ لقمع الانتفاضة ^(٥٧). و في عام ١٩٥٠ ، توصل البلدان ، أو توصلت الأسرة الهاشمية على وضع مشروع اتحاد بين البلدين ، في عهد وزارة توفيق السويدي الثانية نصت مادته الأولى على ((تعتبر المملكتان العراقية و الأردنية مملكتين متحدتين وفق الشروط المتفق عليها)) . و تضمن المشروع الذي وضع أسسه الملك عبد الله بن الحسين ، موادا حول التنسيق العسكري و إزالة الموانع الكمركية و وضع راية للاتحاد . ووضعت الحكومة العراقية مسودة مشروع لا يختلف من حيث الجوهر العام لفكرة الاتحاد ^(٥٨). و يرى السيد عبد الرزاق الحسني ان مقتل الملك عبد الله في ٢٠ تموز ١٩٥١ ، حال دون تحقيق المشروع . لكن الاتحاد تحقق في ١٤ شباط ١٩٥٨ ، بعد أسبوعين من قيام الوحدة المصرية - السورية (الجمهورية العربية المتحدة). و حقيقة الأمر انه جاء رد فعل لها و لا لماذا بقية مجمدا طيلة ثمان سنوات . وقد حاول الملك حسين بن طلال ، ان يعطي الاتحاد صورة مثالية و يحمل الرئيس جمال عبد الناصر مسؤولية سقوط النظام الملكي في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ ، و انهيار الاتحاد فكتب يقول ((ان اتحادنا كان يشكل مثالا اعلي في العلاقات بين شعبين شقيقين . كانت مصر و سورية قد أنشأتا قبل أسبوعين الجمهورية

العربية المتحدة . و بينما كان العراق و الأردن شريكين متساويين في الاتحاد العربي ، كانت مصر تستبعد سورية في الجمهورية العربية المتحدة . فأدرك عبد الناصر فورا التوازن المثالي للطريقة التي انتهجتها ، هذا التوازن الذي كان ينقص ما اعتمده من أسلوب . و إنني اعتقد أيضا بأنه كان لديه ما يكفي من الفطنة و الدراية لكي يفهم انه إذا ما جرت مقارنة بين تجربتنا ، فان التجربة التي تخصنا ستكون حتما اشد فعالية و أكثر واقعية بمراحل . فالعراق بثرواته النفطية على شواطئ الخليج العربي التي كان عبد الناصر يطمع فيها يعتبر احد أقوى الدول في العالم العربي . فاتحاده مع الأردن من شأنه ان يضع حدا للحلم الذي داعب خيال عبد الناصر وهو ان يجعل من الجمهورية العربية المتحدة وحدة جغرافية ، ذلك لان حدود الاتحاد العربي الحديدي الذي يرتبط بميثاق للدفاع المشترك تمتد من سينا إلى الكويت و لما كان عبد الناصر يعلى نفسه بالأمل في ان يبتلع الأردن يوما لكي يجعل منه جسرا بين سورية و مصر ، فقد جاء اتحادنا يعرقل طموحه ويشكل سدا طبيعيا في مواجهة تصاعد الشيوعية في العالم العربي ، لا سيما ان الملك فيصل الثاني و إنا ، كنا أحفاد الزعيم الهاشمي الكبير الشريف حسين الذي رفع راية الثورة العربية ضد الأتراك خلال الحرب العالمي الأولى))^(٥٩).

يتضح من كلام الملك حسين ان الحكام الهاشميون ، عدوا أنفسهم استمرارا طبيعيا لجدهم الشريف حسين متجاهلين المصير الذي أنتها إليه و معاناته من مرارة الخداع و الغدر البريطاني ، كما أكد نجله الأمير زيد

كما أسلفنا . في الوقت الذي حظيت عروشهم بدعم بريطاني كما حدث للملك حسين نفسه اثر وقوع الثورة العراقية عام ١٩٥٨ ، إذ سارعت بريطانيا بإرسال قوات لحمايته ^(٦٠) . فالحسين الحفيد ليس كالحسين الجد ، ولا لكان المصير واحد . و تأكيداً لهذه الحقيقة و تعليقاً على ما ذكره الملك حسين و تنفيذاً له نورد نص ما جاء في تقرير للسفارة البريطانية في بغداد ((ان البديل المؤثر الوحيد للناصرية في الوقت الحاضر هو الاتحاد العربي الذي يضم العراق والأردن . من الضروري ان نعمل كل شيء ممكن لضمان نجاح عقد الاتحاد ، و أن نتأكد بأن الأردن ينتفع منه بشكل منظور في المستقبل القريب و هذه هي الطريقة الوحيدة لدحر تأثير جمهورية عبد الناصر العربية في باقي أقطار العالم العربي)) ^(٦١) . أن التقرير يؤكد بشكل واضح ان العائلة الهاشمية أصبحت أداة للوقوف ضد التوجه القومي الحقيقي الذي تزعمه الرئيس جمال عبد الناصر ، بغض النظر عن السلبيات التي رافقت تجربة الوحدة مع سورية التي ولدت ردود فعل داخلية شجعت على الانفصال في ٢٨ أيلول ١٩٦١ . و قد سبق للعراق ان وقف موقفاً معادياً لجمال عبد الناصر ابان تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٦٥ ، حتى ان نوري السعيد وعد المسؤولين البريطانيين بأرسال فاضل الجمالي إلى ليبيا لإقناع المسؤولين فيها للسماح للطائرات البريطانية باستخدام قواعدها للهجوم على مصر ^(٦٢) . و كان أول الراغبين بضرب مصر ، و عبر عن شكه في ان يبقى في السلطة إذا ما

انتصر عبد الناصر و حافظ على ماء وجهه . و ذكر ولي العهد الأمير عبد الإله ، ان بقاء عبد الناصر يعني سيادة الفوضى في الشرق الأوسط و ان ميثاق بغداد قد يحل (٦٣) . على وفق كل هذه الحقائق كان لابد من اتحاد العراق و الأردن لمواجهة الجمهورية العربية المتحدة .

إذا كان سياق البحث قد الزمنا بتتبع سياسة التقارب العراقي مع الأردن حتى عام ١٩٥٨ ، فلا بد من تتبع السياسة نفسها تجاه سورية . فقد وجد نوري السعيد في انقلاب حسني الزعيم الذي أطاح بالرئيس شكري القوتلي في ٣٠ آذار ١٩٤٩ ، فرصة للتقرب من سورية ، اعتقاداً منه ان القوتلي كان ضد فكرة الوحدة مع العراق . فزار السعيد دمشق في ١٦ نيسان ١٩٤٩ و التقى بالزعيم الذي أبدى بعض التفهم (٦٤) . لكن أي شكل من أشكال التقارب لم يحدث ، و يبدو ان الزعيم تردد في قبول فكرة الاتحاد ، و لعل هذا هو الذي دفع السعيد إلى العمل على إسقاط حسني الزعيم عن طريق التدخل العسكري ، حسب ما أكد رئيس أركان الجيش آنذاك الفريق صالح صائب الجبوري، لكن السعيد عدل عن الفكرة بعد ان اوضح له الفريق الجبوري عواقب التدخل العسكري (٦٥) . و بعد سقوط حسني الزعيم بانقلاب قام به اللواء سامي الحناوي في ١٤ آب ١٩٤٩ ، رجحت أكثر من وجهة ، ان لنوري السعيد يد في الانقلاب (٦٦) . الذي أعرب البريطانيون عن ارتياحهم لوقوعه (٦٧) . و قد زار الحناوي بغداد ، كما زار رئيس الديوان الملكي العراقي ، احمد مختار بابان دمشق ، لبحث موضوع الاتحاد ، لكن الرفض سرعان ما جاء من داخل سورية ،

فضباط الجيش السوري ، عارضوا فكرة الاتحاد ما دام العراق لم يتحرر من وضعه الحالي ⁽⁶⁸⁾ . كما أبدى الوطنيون السوريون تحفظهم ورفضوا مقايضة سورية بعرش مقيد ببريطانيا ^(٦٩) . و قد سبق لنوري السعيد ان صرح بأنه لا يستطيع عقد اتفاقية عسكرية مع سورية، دون استشارة بريطانيا ، و هو ما تمليه عليه المعاهدة ^(٧٠) . و هكذا يبرز التأثير البريطاني في الموضوع ، حتى و ان لم تكن بريطانيا طرفاً فيه .

بقيت الأنظار متجه نحو سورية ، و بخاصة ان وصاية الأمير عبد الإله أوشكت على الانتهاء ، فأزداد تطلعه على عرش في سورية، و هو ما كان يحلم به والده ، و لهذا غضب على نائب رئيس الوزراء و وزير الخارجية مزاحم الباجه جي ، الذي عقد (اتفاقية الكرام) مع الحكومة المصرية في كانون الثاني ١٩٥٠ . و كان احد بنود الاتفاقية يمنع الدولتين من التدخل في شؤون سورية مدة خمس سنوات . و حين سأله الأمير عبد الإله عن سبب تحديد مدة (اتفاقية الكرام) بخمس سنوات ، أجاب ان وصايته تكون قد انتهت في ذلك الوقت و بوسعه بعد ذلك ان يتفرغ لقضية سورية ، الأمر الذي اغضب عبد الإله ، ذلك ان الباجه جي يتهمه بالسعي للوحدة مع سورية لأغراض شخصية و أنكر ذلك بشدة . و أكد انه لا يطمع في أي عرش سواء في سورية أو أي بلد آخر ^(٧١) .

و كانت هذه الأزمة السبب الرئيسي في سقوط وزارة علي جودت الأيوبي . و على الرغم من ان الحكومة العراقية استبعدت فكرة التدخل

العسكري في سورية لتغيير النظام بالقوة كما اشرنا ، إلى ان ذلك لم يكن تخلياً عن الفكرة . و قد تضمن الجزء الأول من المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب) الذي افرد لمحاكمة اللواء الركن غازي الداغستاني رئيس أركان الجيش ، معلومات مفصلة عن تهريب السلاح إلى سورية و خطط لتدخل عسكري عراقي فيها لقلب نظام الحكم (٧٢) . و حين تبدد الأمل في تحقيق هذا الهدف بقيام الوحدة السورية - المصرية عام ١٩٥٨ ، جاء (الاتحاد العربي) بين العراق و الأردن كما ذكرنا .

و لابد لنا أخيراً من ان نثبت موقفاً قومياً ايجابياً للدولة العراقية في منتصف الخمسينات هو الموقف من قضايا المغرب العربي . و كان للدكتور فاضل الجمالي دور واضح في هذا الجانب فقد دافع عن قضايا المغرب العربي في المحافل الدولية و هاجر سياسة فرنسا ، و كان من ابرز الداعين لاستقلال هذه الأقطار حتى ان الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة حين علم بوجوده في سويسرا للعلاج عام ١٩٦٢ ، ارسل السفير التونسي في برن لزيارته و دعوته إلى الإقامة في تونس و قد قبل الجمالي الدعوة و عاش في تونس معزراً مكرماً (٧٣) . و قد سمي احد شوارع العاصمة التونسية بأسمه (٧٤) . و عبر عن هذا الموقف القومي أيضاً ، آخر رئيس للديوان الملكي في العراق ، عبد الله بكر حين أصبح قائماً بالأعمال في واشنطن و وزيراً للخارجية . ففي اجتماع اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحدة التي عقدت في نيسان ١٩٥٣ هاج سياسة

فرنسا الاستعمارية في المغرب مما اضطر مندوب فرنسا إلى ترك القاعة . و كان له موقف مماثل حين نوقشت القضية التونسية في تشرين الأول ١٩٥٣ بعد ان أصبح وزيراً للخارجية ^(٧٥) . و كذلك كان الموقف من القضية الجزائرية حتى ان فاضل الجمالي رد على ممثل بريطانيا في احد اجتماعات ميثاق بغداد ، الذي قال ان الجزائر جزء من فرنسا رد بقوله ان الجزائر لم تكن يوم من الأيام جزء من فرنسا و أنها ارض محتلة ^(٧٦) . كما قدم العراق مساعدات مالية للجزائر ^(٧٧) . و اللافت للنظر ان الحكومة العراقية كانت تهاجم مواقف فرنسا و سياستها المعادية لقضايا العرب القومية في حين أنها لم تفعل الشيء نفسه مع بريطانيا و ليس ادل على ذلك من ان مجلس الوزراء العراقي قرر في تشرين الثاني ١٩٥٦ قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا لاشتراكها في العدوان على مصر ، في حين اكتفى بمقاطعة أي اجتماع للدول ميثاق بغداد أو إحدى لجانه تحضره بريطانيا ^(٧٨) ، و هذا يؤكد حقيقة ما ذهبنا إليه من ان العلاقات مع بريطانيا كانت لها انعكاساتها الواضحة على مواقف الحكومة العراقية من القضايا القومية ان لم نقل كان له الأثر الأكبر .

الخاتمة :-

يتضح مما تقدم ان العراقيين الذين عملوا في الحركة العربية و كانوا عناصر قيادية مهمة في الثورة العربية الكبرى (١٩١٦) أسهموا بشكل فاعل و نشيط في وضع اسس الدولة العراقية الحديثة

(١٩٢١) و تحكموا في مقدراتها السياسية حتى سقوط النظام الملكي (١٩٥٨) . و قد سعى هؤلاء إلى تحقيق أهداف الثورة العربية في (استقلال العرب و وحدتهم) ، لكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وسط ظروف صعبة و قاسية تمثلت بسيطرة بريطانيا و فرنسا على أجزاء واسعة من الدولة العربية التي تحالف العرب مع الدولتين على أساس وحدتها و استقلالها . و قد عارضت هاتان الدولتان أي توجه قومي حقيقي .

و مما لا شك فيه ان الشعور القومي امتزج ببعض الدوافع الشخصية لتحقيق الهدف . فالتطلع إلى الحرية و الاستقلال كان قائماً من خلال النشاط الواسع في الحركة و الثورة العربية و تعريض النفس إلى الاعتقال و الموت ، كما حدث لعدد من رجال الحركة العربية في بلاد الشام (١٩١٥ - ١٩١٦) على يد جمال باشا المعروف بالسفاح . في الوقت نفسه فأن هناك من يذكر ان الطموحات الشخصية كان لها أثرها في هذا الجانب . فعلى سبيل المثال يذكر توفيق السويدي ، ان نوري السعيد حين لمس تصالب جعفر العسكري و رفضه ترك الجيش العثماني الذي قاتل في صفوفه من موقع قيادي و الانضمام إلى الثورة العربية ، أغراه ((بالقيادة العامة للجيش الثائر و التلويح له بوفرة الراتب و بمستقبل زاهر يدر عليه النعمة و المجد بعد ان وطن نفسه على مستقبل مجهول و مصير معدود إذ بقي ، فقبل الالتحاق))^(٧٩) . و هو رأي علينا ان نأخذه بنظر الاعتبار على ان لا نجعله راجحاً أو عاملاً

جوهرياً . و ان من الصعب أو من الإجحاف ان نعطيه صفة التعميم و
بخاصة التعميم المطلق . و من المؤكد ان هؤلاء خضعوا طوعاً أو كرهاً
للوامع الذي فرضته عليهم بريطانيا ، فراحوا يبحثون عن مشاريع وحدوية
مهما كانت هشة و ضعيفة أملاً في الإيحاء بأنهم لن يترددوا في مواصلة
المساعي لتحقيق هدف الثورة العربية . فكانوا ينظرون بعين إلى الوحدة
العربية - بوصفها ذروة التعبير عن التوجيه القومي - و بالعين الأخرى
إلى بريطانيا ، ان اتحاداً دستورياً بالمعنى الحقيقي لم يتحقق إلا قبل
خمسة أشهر تماماً من سقوط النظام الملكي في العراق ، و نعتي الاتحاد
مع المملكة الأردنية الهاشمية ، على الرغم من ان نجلي زعيم الثورة
العربية و ابرز قائدين عسكريين فيها (فيصل و عبد الله) حكما البلدين
منذ عام ١٩٢٠ .

رؤساء الوزراء الذين أسهموا في الحركة العربية في أواخر العهد العثماني و الثورة

العربية

ت	الاسم	عدد المرات التي تولى فيها الرئاسة
١	جعفر العسكري	٢
٢	ياسين الهاشمي	٢
٣	توفيق السويدي	٣
٤	نور السعيد	١٤
٥	ناجي شوكت	١
٦	جميل المدفعي	٧

٧	علي جودت الأيوبي	٣
٨	طه الهاشمي	١
٩	حمدي الباجة جي	٢
١٠	مزاحم الباجة جي	١

* رتبت الأسماء حسب الاقدمية في تشكيل الوزارة

و ان عدد الوزارات التي فيها هؤلاء ٣٦ وزارة من مجموع ٥٨، إذا استثنينا وزارة عبد الرحمن النقيب الأولى التي الفت قبل تتويج الملك فيصل الأول أي ما يعادل ٦٢٪ اخذين بنظر الاعتبار ان من بين هؤلاء من هو الأكثر تأثيرا في صنع القرار و بخاصة نوري السعيد الذي سمية العهد الملكي على المستوى الشعبي باسمه (عهد نوري السعيد)

الهوامش

١. Eliezer Beeri , Army Officers , in arab politics and society , Parger , Pall Mall , 1920
٢. جورج انطونيوس ، يقضة العرب ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد و الدكتور احسان عباس ، ط٦ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥
٣. خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق (١٩١٨-١٩٢٠) ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٢٧١
٤. مديرية الدعاية العامة ، فيصل بن الحسين في خطبه و أقواله ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص ٢٣٦-٢٤١
٥. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٦١
٦. عبد الرزاق الحسني ، العراق في ظل المعاهدات ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤
٧. لطفي جعفر فرج ، عبد المحسن السعدون و دوره في تاريخ العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧٥
٨. حسين جميل ، العراق شهادة سياسية (١٩٠٨-١٩٣٠) ، لندن ، ١٩٨٧ ، ص ٢٢٦

٩. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٢، ص ١٥٧
١٠. توفيق السويدي ، وجوه عراقية عبر التاريخ ، ط١، لندن ، ١٩٨٧ ، ص ١٠
١١. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٢، ص ١٥٩ انتقد الملك فيصل إجراءات الوزارة ، لأنها قد توحى بعدم الاستقرار الداخلي ، ولم يكن ضد التصدي للتظاهرات ، بدليل انه صادق على الأحكام التي صدرت بحق المتظاهرين . ينظر : عباس عطية جبار ، العراق و القضية الفلسطينية (١٩٣٢-١٩٤١) ، ط١، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٣
١٢. سليم حسين ياسين التميمي ، الاتجاهات القومية في مناهج الوزارات العراقية (١٩٢١-١٩٤١) ، رسالة ماجستير - غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٨٩ ، ص ٦٦
١٣. سليمان موسى ، الحركة العربية (المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤) ، ط٢، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٤٣٦ . كذلك ينظر (Chiam Weizman, Trail and Error(The Autobiography) New York,1972, p 235
١٤. عباس عطية جبار ، المصدر السابق ، ص ٤٠
١٥. سليم حسين ياسين التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥١ - ٥٢

١٦. طالب محمد وهيم، مملكة الحجاز (١٩١٦ - ١٩٢٥) دراسة في الأوضاع السياسية، ط ١، بصرة، ١٩٨٢، ص ٤٠٣
١٧. Demascus, 13/10/21
١٨. ستار جبار حسين الجابري، العلاقات العراقية - الفرنسية (١٩٢١ - ١٩٥٦)، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٣٤
١٩. عبد الرزاق الحسني تاريخ الوزارات، ج ١، ص ١٨٦
٢٠. المصدر نفسه، ص ٨٩
٢١. جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ٣١٤؛ سليمان موسى المصدر السابق، ص ٢٩٩
٢٢. محمد حسن سلمان، صفحات من حياة د. محمد حسن سلمان، ط ١، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٠٤ - ١٠٥
٢٣. مقابلة مع السيد عبد الرزاق الحسني في ١٩٩٥/١١/١
٢٤. جريدة العراق ١٩٢١/٧/٣١
٢٥. جريدة صدى العهد ١٩٣٠/١١/٥
٢٦. عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ص ٢٣٠ - ٢٣١
٢٧. جريدة العراق ١٩٣٢/٥/٣١
٢٨. عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج ٣، ص ١٠٩ - ١٢٦

٢٩. جريدة الاستقلال ١٩٣١/٤/٣
٣٠. جريدة الاستقلال ١٩٣١/٤/٧
٣١. سليم حسين ياسين التميمي ،المصدر السابق ،ص٧١
٣٢. Chaim Weizmam,OP.Cit,p.427
٣٣. W.O,216/3/x/m,.8599,10Downing street,18/5/41
٣٤. محاضر جلسات مجلس النواب ، الدورة الانتخابية الرابع ،
الاجتماع الاعتيادي، الجلسة الأولى المنعقدة في تاريخ ١٩٣٣/٣/٨ ،
ص١
٣٥. للمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات
ج. ٤ ، ص٩٦-١٢٧
٣٦. مقابلة مع السيد عبد الرزاق الحسني ، ١٩٨٣/١٢/١٠ . لا يخلو
قول الحسني من بعض المبالغة ولكنه يعكس قوة شخصية الملك
فيصل الأول
٣٧. عباس عطية جبار ، المصدر السابق ،ص١٧٧
٣٨. جريدة الجهاد (المصرية) ، ١٩٣٦/١١/١
٣٩. عبد الرزاق الحسني ،تاريخ الوزارات العراقية ، ج٤ ، ص٢١٤-
- ٢١٩
٤٠. المصدر نفسه ،ص٢١٩

٤١. حنان عبد الكريم خضير الالوسي ، الحركة القومية العربية في العراق بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٤١ رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى المعهد العالي للدراسات القومية و الاشتراكية - الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٥٠
٤٢. ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق ، ج٢، (١٩٢٧-١٩٤١) ط١، بيروت ، ١٩٦٨، ص ٣٣٤ - ٣٣٥
٤٣. جريدة البلاد ١٧/١٢/١٩٣٥
٤٤. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٤، ص ٢٩٤-٣٠١
٤٥. المصدر نفسه ، ص ٣١٥-٣١٦
٤٦. حديث اجراه السيد صلاح عبد الوهاب احد أقطاب الحزب الوطني الديمقراطي مع مزاحم الباجة جي في جنيف عام ١٩٥٩ . مقابلة مع السيد صلاح عبد الوهاب في ٢٥/٢/٢٠٠٠
٤٧. ناجي شوكت ، سيرة و ذكريات ثمانين عام (١٨٩٤ - ١٩٧٤) ، ط٢، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٧٣ - ٣٧٤
٤٨. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٥، ص ٨٩
٤٩. ذكريات علي جودة (الأيوبي) ، بيروت ، ١٩٦٧، ص ٢٤٩
٥٠. عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، ج٦، ص ١٧٦